ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون ولهم آذان لا يسمعون بها

فإن قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كأنه
قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم
على موسى صلوات الله عليه خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث
الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعدما قرأوا نعت
رسول الله صلى الله عليه في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب
مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم
يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته إذ ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه و
يعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثل
مثلا القوم أي مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل
القوم وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز
الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما أن يكون
كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص
كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها إلى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ
فأولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا من الجن والإنس هم المطبوع على قلوبهم الذين
علم الله أنه لا لطف لهم وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون
بعيونهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا
فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة
شكائمهم فيه وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم
في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه إلى خالد بن
الوليد بلغني أن أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة
ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الأمور ما خلق فلان إلا لكذا والمراد
وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى

أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

منهم خلقوا للنار أولئك كالأنعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع
للتدبر بل هم أضل من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم
الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم
بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار ولله الأسماء
الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس
وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه
واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء
الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم
يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نخي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسماء الحسنى
نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويجوز أن يكون ولله الأوصاف
الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه
بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء
والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل إلحادهم في أسمائه تسميتهم
الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن كثيرا من الثقلين عاملون بأعمال النار أتبعه قوله
وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه أنه كان يقول إذا قرأها
هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه
عليه إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل
الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين الاستدراج استفعال من الدرجة
بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الأعشى فلو كنت في جب ثمانين
قامة ورقيت أسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم أني
عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)